

مقتطفات متفرقة من أعمال يحيى الرخاوى: من الترحال الأول، بعنوان "الناس والطريق"



[vehiatrakhaw@hotmai.com](mailto:vehiatrakhaw@hotmai.com)

نشرة "الإنسان" 2018/09/10

السنة الثانية عشرة - العدد: 4027

بروفيسور يحيى الرخاوى - الطب النفسي، مصر

مقتطفات متفرقة من أعمال يحيى الرخاوى: النقدية والإنشائية والإبداعية

.....

مقتطفات اليوم:

من الترحال الأول، بعنوان "الناس والطريق" (1)

(المقتطفات مرقمة بهدف محدد : هو ألا يحسب القارئ أنها يمكن أن تقرأ متصلة بعضها ببعض،

وفى نفس الوقت ، لعل هذا الترقيم يؤكد التسلسل)

.....  
.....  
.....

(من مقدمة العمل كله)

(1)

قبيل 21 أغسطس 1984:

لظروف خاصة، وفاءً لوعد قديم، قررت أن أقوم بهذه الرحلة المحدودة (رحلة الأسابيع الأربعة)، فالتست لها هدفين، علّهما يخفيان - ولو عنى - الدافع الأصلي: أولهما: تجديد الوعى بمثيرات طازجة عهدتها مع الترحال. وثانيهما: التعرف على أولادى أكثر، فى محاولة جديدة لكسر الوحدة. قبل أن تبدأ الرحلة، تيقّنت من فشل الهدف الثانى؛ حيث أجهض فى محاولات تمهيدية، وذلك حين تبيّن لى حجم المسافة التى بينى وبينهم، وأن هذا الهدف، وهو الاقتراب الذى أنشده، هو نوع من الحلم الخاص المتكرر، حلم يطفو على السطح فى أوقات الضعف القهرى، حين أكون أقرب إلى اهتزازى، وفى الوقت ذاته، أكثر وعيا بطبيعة نهايتى كفرد؛ فأستشعر الموت يزحف فى يقين الوائق من غلبته فى النهاية، فأعمق وعى به، وإذا بى أندفع نحو الآخرين بشغف أكثر، وحاجة أشد. فى هذه المرة، تصوّرت أن الفرصة متاحة للاختلاء بأولادى بعيدا عن رتابة العلاقة الفوقية من جانبى، والاعتمادية من جانبهم، إلا أننى قبل أن نبدأ أدركت - بلا جديد - أن محاولة عبور مثل هذه المسافة، بينى وبينهم، قفراً أو قسراً، ليس وراءها إلا أوحم العواقب، فتراجعت.

.....  
.....

أقوم بهذه الرحلة المحدودة (رحلة الأسابيع الأربعة)، فالتست لها هدفين، علّهما يخفيان - ولو عنى - الدافع الأصلي: أولهما: تجديد الوعى بمثيرات طازجة عهدتها مع الترحال. وثانيهما: التعرف على أولادى أكثر، فى محاولة جديدة لكسر الوحدة

قبل أن تبدأ الرحلة، تيقّنت من فشل الهدف الثانى؛ حيث أجهض فى محاولات تمهيدية، وذلك حين تبيّن لى حجم المسافة التى بينى وبينهم، وأن هذا الهدف، وهو الاقتراب الذى أنشده

حين أكون أقرب إلى اهتزازى، وفى الوقت ذاته، أكثر وعيا بطبيعة نهايتى كفرد؛ فأستشعر الموت يزحف فى يقين الوائق من غلبته فى النهاية، فأعمق وعى به، وإذا بى أندفع نحو الآخرين بشغف أكثر، وحاجة أشد

(2)

.... حملتُ كُتبي وناسي ونفسي وتوكلت، تفتحتُ مسامىً. عرفتُ أننى فى حالة انتظار إيجابى  
لأمورٍ تستأهل.

علاقتى بالكتب حالة كوني مسافرا تحتاج إيضاحا خاصا، فأنا أشعر أنى بغير كتاب فى صحبتى،  
كاذى يمشى عاريا فى شارع مأهول بالغرباء، ودائماً أخذ معى من الكتب ما يتقل الوزن حتى يهدد  
المسموح به فى الطائرة، وقد تضيق بذلك زوجتى (سراً عادة)، وقد تتوقع – لا شعوريا فى الأغلب –  
أن يكون هذا الثقل على حساب ما تأمل فى شرائه، على الرغم من وعدها بغير ذلك. أنا لا أطمئن إلا  
وفى صحبتى عدد متنوع من هؤلاء الأصدقاء الكتب، ثم إن السفر هذه المرة كان بالباخرة، قائدا لحافلة  
صغيرة (أتوبيس صغير – ميكروباص) ، فلا مشكلة وزن أو حجم شاذ، ذهاباً وعودة، ولا تنافس بين  
كتبى ومشترياتها، فأعددت حقيبة مستقلة للكتب، وبها من المراجع ما يلزم، لكننى، ولأول مرة،  
وجدت نفسى أفتحها عنوة ليلة السفر، بعد أن تيقنت من خبرتى السابقة، وطبيعة المسافة التى تنتظرنى  
لأقطعها قائدا الحافلة الصغيرة، أننى لن أستطيع أن أمسّ هذه الكتب طوال الرحلة، فى حسم مؤلم:  
تركتُ الحقيبة بما فيها مغلقة، لكننى استدرتُ فمددت يدي إلى ملحمة حرافيش محفوظ، وجمعت  
البطاقات التى كنت قد سجلت عليها ملاحظاتي على هذه الملحمة، وقدّرت أنه يمكننى أن أرحل فى  
زمان هذه الملحمة حالة كوني مرتحلا فى أرض الله الواسعة، ويا حبذا لو صحبتنا جارثيا (مائة عام  
من العزلة)، فحملت الملحمتين معاً، وقلت لعلى واجدٌ فيهما ما يصلح للمقارنة أو الإلهام بالتبادل.

.....  
.....

(3)

.... كلما ألقيت بنفسى – أو ألقىَ بى – فى الطريق، خارج النفس الغالبة، وخارج الديار،  
رحت أعيد النظر فى نفسى وفى الناس – لا كما رسمتهم لنفسي ولا كما اعتدت عليهم، فأستسلم  
لاقتحامهم الرائع، فأتجدد، ويتحرك الوعي إلى ما يمكن.

ليكن. وليكن من بين ما يتحرك هذا القلم بيدي.

فهل يا ترى هذا هو ما يسمى "أدب الرحلات؟"

.....  
.....

(4)

.... أديب السفر يعامل باعتباره أديبا، لا مؤرخا، ولا رحالة مسجّلا، فهو يكتب نفسه ابتداء، وينجح  
– مثل كل أديب – بقدر ما يستطيع أن يعرض نفسه لتجارب، ويقدر ماتسمح له مسام وجوده  
باستنشاق الآخرين، ويقدر ما نتيج له مرونة أفكاره بإعادة النظر وتفجير شرارات التغيير من خلال  
تصادم الاحتكاك، ويقدر ما يستطيع أن يصوغ كل ذلك بأدوات مهارته، حالة كونه مسافراً.

.....  
.....

(5)

..... هذا السفر الذى أنتزع نفسى إليه، أو ترغمنى الظروف أو المصادفات عليه، هو الذى يحرك  
وعىي إلى حيث لا أعلم، اكتشفتُ بمحض الصدفة أن أكثر من نصف ما كتبتّه مما قد يسمّى شعراً،

تصوّرت أن الفرصة متاحة  
للإختلاء بأولادى بعيدا عن  
رتابة العلاقة الفوقية من  
جانبي، والاعتمادية من  
جانبيهم، إلا أننى قبل أن نبدأ  
أدركت – بلا جديد – أن  
محاولة عبور مثل هذه  
المسافة، بينى وبينهم، قفزاً  
أو قسراً، ليس وراءها إلا  
أوجع العواقب، فتراجعت.

علاقتى بالكتب حالة كوني  
مسافرا تحتاج إيضاحا خاصا،  
فأنا أشعر أنى بغير كتاب  
فى صحبتى، كاذى يمشى  
عاريا فى شارع مأهول  
بالغرباء، ودائماً أخذ معى  
من الكتب ما يتقل الوزن  
حتى يهدد المسموح به فى  
الطائرة

.... كلما ألقيت بنفسى – أو  
ألقىَ بى – فى الطريق،  
خارج النفس الغالبة، وخارج  
الديار، رحيت أعيد النظر فى  
نفسى وفى الناس – لا كما  
رسمتهم لنفسي ولا كما  
اعتدت عليهم، فأستسلم  
لاقتحامهم الرائع، فأتجدد،  
ويتحرك الوعي إلى ما يمكن.

..... هذا السفر الذى أنتزع  
نفسى إليه، أو ترغمنى  
الظروف أو المصادفات  
عليه، هو الذى يحرك  
وعىي إلى حيث لا أعلم،  
اكتشفتُ بمحض الصدفة أن  
أكثر من نصف ما كتبتّه مما

قد يسمّى شعراً، كُتِبَتْه في  
"حالة سفر"

أننى بمجرد أن أتخلص من  
الإمارة السرية المتسعبة  
المستمرة على وعيى  
بالمؤثرات الرتيبة الباهتة،  
وأيضاً بالضغوط الملحة  
الجائمة، تتفجّر من داخلى  
الرؤى المؤجّلة، والمصمّلة،  
والكامنة، والعنيدة، فأعيد  
تنظيمها "لأقول" بالأداة التى  
تحضرنى

انتبهت من كل ذلك إلى  
وظيفة السفر عندى، وقلت  
لعل ورطتى فى سفرتى هذه،  
تكون فرصة جديدة أتعرف  
من خلالها على بعض أبعادى،  
لا على بعض أولادى كما  
تصورت أولاً

... لا أفهم أسفار المشتريات  
الاستهلاكية، ولا أسفار  
المؤتمرات العلمية (شبه  
العلمية). بل إننى لا أفهم  
أسفار السياحة بمعنى زيارة  
التاريخ والآثار؛ حيث يكون  
الهدف الأهم هو التجوال  
"حول الأطلال" و "داخل  
المتاحف".

كتبتة فى "حالة سفر" (2) استطعت أن أرجح من خلال ذلك أنى بمجرد أن أتخلص من الإغارة  
السرية المتسعبة المستمرة على وعيى بالمؤثرات الرتيبة الباهتة، وأيضاً بالضغوط الملحة الجائمة،  
تتفجّر من داخلى الرؤى المؤجّلة، والمهمّلة، والكامنة، والعنيدة، فأعيد تنظيمها "لأقول" بالأداة التى  
تحضرنى.

انتبهت من كل ذلك إلى وظيفة السفر عندى، وقلت لعل ورطتى فى سفرتى هذه، تكون فرصة  
جديدة أتعرف من خلالها على بعض أبعادى، لا على بعض أولادى كما تصورت أولاً، وأمّلتُ ربما  
كبدل - أن أسمح لبعض نفسى، مما أعرف ومما لا أعرف، أن تتساب منى، وأنا أجرب هذه الأداة  
الجديدة، والتى قد تسمى أدب الرحلات سترّاً وتحايلاً، وإن كانت قد انتهت لتكون أقرب إلى السيرة  
الذاتية، أو لعلها تتراوح بين هذا وذاك، فهى ترحال بين الداخل والخارج طول الوقت، (ثم تطور الأمر  
لأسميها "أدب المكاشفة"، وليس حتى "أدب الاعتراف").

.....  
.....

(6)

... لا أفهم أسفار المشتريات الاستهلاكية، ولا أسفار المؤتمرات العلمية (شبه العلمية). بل إننى لا  
أفهم أسفار السياحة بمعنى زيارة التاريخ والآثار؛ حيث يكون الهدف الأهم هو التجوال "حول الأطلال"  
و "داخل المتاحف". كم من مرّة مازحتُ فيها مرافقّى فى بعض أسفارى، ونحن نزور الأماكن  
"المقررة" (مثلاً: عمارة الإمبراطور ستيت أو تمثال الحرية) فأقول ونحن نلتقط الصور بجوار هذا  
المعلم أو ذاك: "وهكذا تم التوقيع فى سجل تشريفات "سيدنا الأثر "الفلانى" بعد دفع المعلوم فى  
صندوق النذور"، فلزم التنويه!! حتى إذا سألنا سائل عند العودة عن هذه الأماكن، أو إذا ذُكرت  
أسماءها بانبهار أماننا، شاركنا بإيماءة رأسٍ أو نظرة ألفة، وبالتالي ننضم - ولو منتسبين أو أعضاء  
شرف - إلى فصيلة من يعرف هذه الأسماء المشهورة التى يدور حولها الأكابر والمتفقون والساسة  
المسافرون فى فخر وزهو فوقيين.

نعم، كل هذه الأسفار لا تستأهل لدىّ شد الرحال، ومع ذلك فإنه حتى لو شاركتُ فى مثلها لبضعة  
أيام، فإنى أمارس خبرة تفجير الداخل، وفتح المسام، بطريقة تجعلنى أعود - حتى رغماً عنى -  
مهزوزاً منتعشاً مفكراً أبحث عن بدايات جديدة، أو أعيد وزن أفكار قديمة، أو كليهما....  
وبعد

لست متأكداً إن " كان اثنين" الأسبوع القادم سوف يكون من نصيب نفس العمل أم من غيره؟  
عذراً، ولا مانع من تلقى ما ترون دون التزام منى، إلا بأن يظل الاثنين مخصصاً لمقتطفات من  
هذا النوع وليس بالضرورة من ننس العمل.

إرتباط كامل النص:

[www.arabpsynet.com/Rakhaw/RakD100918.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhaw/RakD100918.pdf)



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية  
معا... نذهب أبعد